مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (3)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (3) 2017

أبرز مؤرخي مصر في العصر المملوكي (648 . 923هـ/ 1250 . 1517م)

الدكتورة وفاء صارم*
الدكتور أسامة مهنا**
وائل رجب***

(تاريخ الإيداع 14 / 3 / 2017. قبل للنشر في 1 / 6 / 2017)

□ ملخّص □

يتناول البحث دراسة أبرز مؤرخي مصر في العصر المملوكي (648 . 923هـ/ 1250 . 1517م) ورصد مؤلفاتهم والمنهج التاريخي الذي سلكه كل منهم من خلال عدة محاور تناولنا في الأول تقي الدين المقريزي (766 . 845هـ/ 1365 . 1441م) الذي عاصر قيام دولة المماليك الثانية ودراسة منهجه في التأليف التاريخي ولاسيما في كتابه الخطط المقريزية الذي يضم نواحي متعددة تاريخية وأثرية وجغرافية واقتصادية واجتماعية مما جعله موسوعة لتاريخ مصر السياسي والحضاري عبر العصور.

وتناولنا في الثاني دراسة منهج ابن حجر العسقلاني (773 . 852هـ/ 1372 . 1448م) من خلال مؤلفاته المختلفة، ولاسيما كتاب إنباء الغمر بأنباء العمر الذي أرخ فيه للدولة المملوكية في مصر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

أما في الثالث فتناولنا شمس الدين السخاوي (831 . 902هـ/ 1428 . 1497م) الذي عاش في أواخر العصر المملوكي، ومدى تأثير مدرسة الحديث على منهجه التاريخي. كما درسنا في المحور الرابع العلاقة بين السلطة المملوكية الحاكمة والمؤرخين في مصر، ومدى تأثيرها على منهجهم التاريخي.

الكلمات المفتاحية: العصر المملوكي، مصر، الحركة التأريخية، المقريزي، العسقلاني، السخّاوي.

*مدرّس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.
**مدرّس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– قسم التاريخ، جامعة الفرات، دير الزور، سورية.
***طالب دراسات عليا– ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية –قسم التاريخ، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (3)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (3) 2017

The most important of historiographer at the Mameluke period in Egypt (648- 923 H/ 1250- 1517ac)

Dr. Wafaa Sareem*
Dr. Osama Muhanna**
Wael Rajab***

(Received 14 / 3 / 2017. Accepted 1 / 6 / 2017)

□ ABSTRACT □

The research was conducted to study the most important of historiographer in Egypt at the Mameluke period, during (648- 923H/ 1250- 1517ac), by tracing authorship movement in history, and study the order that each of them had followed. The first one we studied was Taki Al Din Al Maqrizi (766- 845H/ 1365- 1441ac), who was during the second Mameluke country, and study his way in historical authorship, especially in his manuscript "the Maqrizian plans" which includes several historical, geographic, economical and social sides.

In other hand, we studied the way of Ibn Houjr Al Askalani (773-852H/1372-1448ac) by studying his authorships especially his manuscript about history of Mameluke country in Egypt.

In the third hand, we studied Shams Al Din Al Sakhawi (831-902H/1428-1497ac) who was during the last period of Mameluke age. As we studied the relationship between historiographer and regnant authority on chronicle movement in these period.

Key words: Mameluke Period, Egypt, Chronicled Movement, Al Maqrizi, Al Askalani and Al Sakhawi.

***Assistant professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities,Tishreen University, Lattakia, Syria.**
****Assistant professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Alfurat University, Deer Alzour, Syria.**
***** Master Student, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

التأريخ تعيين وقت لينسب إليه زمان مطلقاً، سواء كان قد مضى، أو كان حاضراً، أو سيأتي. وقيل: التأريخ تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع، كظهور ملّة، أو وقوع حادثة هائلة من طوفان أو زلزلة عظيمة أو مجاعات وأوبئة ونحوها. ويُقال إنَّ التأريخ مدّة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات حدوث آخر. وبالتالي فموضوع علم التأريخ هو الإنسان والزمان وأحوالهما وكل ما يتعلق بهما من حيث تعيين ذلك وتوقيته.

وقد مرَّ التأريخ بعدّة أطوار قبل أن تستقرّ كلمة تاريخ، فظهرت بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام الأول، وبعد أن استُعمِلَت فترة من الزمن بهذا المعنى اكتسبت معنى جديداً هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن. وكان يقوم مقامها في معنى هذه العملية التاريخية كلمة خبر وأخباري، ويبدو أنَّ ذلك حصل منذ أواسط القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فما إنْ أطلَّ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حتى صارت كلمة التاريخ تُطلَق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره، وبأخبار الرجال، والكتب التي تحوي ذلك، وحَلَّت نهائياً محل كلمتي الخبر والأخباري اللتين خَبّت قيمتهما العلمية قبل أن تختفيا من التداول في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ومنذ هذا القرن بدأ علم التأريخ مسيرته العلمية المستقلة إلى حدٍ كبير متأثراً بنمو العلوم الأخرى واتّساع نطاق الحضارة المادية وانتشار الورق، ولكن مع سقوط بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وتدمير مكتبتها التي انتهت بمياه دجلة، أضحت مصر المملوكية وعاصمتها القاهرة مركز العالم الإسلامي السياسي والثقافي فتولَّت مدرسة مصر زعامة المدارس التاريخية الإسلامية، وسيتناول هذا البحث الحركة التأريخية في مصر في العصر المملوكي (648 . 923هـ/ 1250 . 1517م) الذي تميّز بكثرة الاضطرابات السياسية من خلال تناول عيّنة من مؤرّخي هذا العصر، ودراسة مصنفاتهم التاريخية ومناهجهم في تأليفها.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في أنَّ معظم الباحثين ركَّزوا على دراسة الدولة المملوكية من جوانب معيّنة سياسية أو عسكرية، بينما الدراسات التي تهتم بدراسة تطوّر علم التاريخ والمنهجية التاريخية في هذه الحقبة المهمة من التاريخ العربي الإسلامي قليلة جداً. لذلك تمّ وضع هدفين أساسيين للبحث، الأول: تبيان ماهية الحركة التاريخية في هذا العصر والدور الذي يقوم به المؤرخ في رسم صورة واقعية وحيّة للمجتمع الإسلامي بما فيه من إيجابيات وسلبيات، والثاني: التثبت من حقيقة العلاقة المفترضة بين التاريخ والعلوم الأخرى.

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية في تبيان كيفية العلاقة بين مؤرخي العصر المملوكي والسلطة السياسية المملوكية، وإلى أي حد أثَّر تولّي بعضهم لمناصب رفيعة المستوى في هذه الدولة على منهجهم التأريخي من حيث المصداقية والموضوعية من جهة، ومن حيث تمكنهم من الاطلاع على الوثائق الرسمية للدولة والتي ساعدتهم على إبراز الحقائق كما هي من جهة أخرى.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث على الجانب التحليلي العلمي النقدي المؤسَّس على الاستقراء والاستنتاج ومقارنة المعلومات التاريخية بغية الوصول إلى الحقائق المتعلقة بموضوع البحث، ملتزماً بجميع قواعد منهجية البحث التاريخي من حيث قواعد المعرفة والمعالجة الموضوعية القائمة على التحليل والتعليل والتوثيق والمقارنة ودقة اللغة وحسن التعبير وسهولة الأسلوب للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

النتائج والمناقشة:

أولاً: المؤرخ تقي الدين المقريزي 766-845هـ/ 1365-1441م:

1. نسبه ونشأته:

أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن تميم المقريزي، يكنى أبو محمد [1] وأبو العباس، والبعض زاد نسبه فأوصله للخليفة الراشدي علي بن أبي طالب (ﷺ) عن طريق الخلفاء الفاطميين، ومنهم السخاوي الذي أشار أيضاً إلى أنَّ المقريزي نسبةً لحارة المقارزة إحدى حارات بعلبك [2] والتي يعود أصله إليها، [3] بينما قال البعض الآخر إنّه انصاري. لكن المقريزي نفسه كان قد أوقف نسبه عند عبد الصمد بن تميم. ولقد نشأ المقريزي في كنف أسرة مشهورة بتحصيل العلم، فجده لأبيه محي الدين عبد القادر المقريزي من كبار المحدثين في الشام [4] أما والده علاء الدين علي فقد نبغ في كتابة الإنشاء والحساب، فتولى في مصر بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء. [5] وقد نشأ المقريزي نشأةً حسنةً، فحفظ القرآن الكريم وبعض المختصرات في الفقه الحنفي، ثم تتلمَذ في الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب [6] والتاريخ، وغيرها من علوم عصره على أيدي أكبر أعلام العلماء. ونتيجةً لهذه الثقافة الواسعة فضلاً عن الاتصال ببعض الأمراء المماليك تمكّن المقريزي من منادمة السلطان الظاهر برقوق [7] وابنه الناصر فرج [(1)] وحظِي عندهما بمكانة رفيعة، مما أهّله لتقلّد وظائف عديدة في عهديهما [(2)] من أهمها

---

[1] المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت 845هـ/ 1441م). *السلوك لمعرفة دول الملوك* . تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج 3، ص 171.

[2] بعلبك: مدينة قديمة من أعمال دمشق بينهما ثلاثة أيام. الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/ 1229م). *معجم البلدان*. دار صادر، بيروت، د.ط، 1977م، ج1، ص 453.

[3] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1497م). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* . دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ج 2، ص 21.

[4] ابن حجر ، أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م). *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* . تح محمد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط 2، 1992م، ج 2، ص 391.

[5] المقريزي، أحمد بن علي. *السلوك*. ج 5، ص 43.

[6] علي، محمد كمال الدين . *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة* . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1993م، ص 171-172.

[7] السلطان الظاهر برقوق بن آنص بن عبد الله الجركسي العثماني نسبةً إلى التاجر الذي جلبه من بلاد الجركس، وهو مؤسس دولة المماليك الجركسية تولى السلطنة ثلاث مرات توفي سنة 801هـ/ 1398م. ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ/ 1678م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* . تح عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1993م، ج9، ص 16 . 17.

الحسبة في القاهرة، والخطابة في بعض مساجدها، مما جعله على تماس مع الناس، ومكّنه من الاطلاع على أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، كما مارس مهنة التدريس في المدارس ودور الحديث، إضافةً إلى توليه نظر البيمارستان النوري في دمشق، ويشير السخاوي إلى اعتزال المقريزي عن وظائفه دفعة واحدة، وبقي ثلاثين سنة لا يتولى وظيفة سوى الإقراء بمكة والقاهرة، [3] وآثر العكوف في منزله منصرفاً للعبادة والتأليف واجداً فيهما السلوى عما افتقده من وظائف، وعما صادفه من هزات اقتصادية وأوبئة وطواعين التي فقد في بعضها أفراد عائلته، كما ذهب هو نفسه فريسةَ مرضٍ طويلٍ أفضى به إلى الموت في سنة 845هـ/ 1441م.

2. كتاباته:

ترك المقريزي مؤلفات عديدة في مجال التاريخ والأنساب والعقائد والفقه والأدب وغيرها من العلوم زادت عن مائتي مجلّد، لم يبقَ من هذه المؤلفات أو عناوينها سوى النذر اليسير المبعثر في مكتبات العالم، أو المثبتة عناوينه لدى من ترجم له أو اعتنى بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية، ويمكن إجمال مؤلفاته بالآتي:

❖ كتبه التاريخية:

ومنها"**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**": أرّخ فيه للدولة الفاطمية مترجماً لخلفائها، مبيناً أهم الحوادث الواقعة في زمانهم، مقدماً لترجماتهم بالحديث عن أبناء الإمام علي بن أبي طالب(ﷺ) وأعقابهم مع تحقيق نسب الخلفاء الفاطميين، والتعريف بنشأة دولتهم في المغرب، ومذيلاً عليها التعريف برسوم دولتهم في مصر ومصيرهم بعد سقوطها [4].

"**نبذة تاريخية**": وهي مجموعة معلومات أولها نبذة عن الروك الحسامي، [5] والروك الناصري، وتراجم مختلفة لبعض الأعيان، ووزراء الدولة السلجوقية، ومن ولى حلب من سنة 300هـ/ 913م، ثم من ولى دمشق من الترك، ولعل هذه النبذ لم تكتب بوصفها مؤلفاً ولكنها ربما مما جمعه المقريزي من المصادر لمؤلفاته التاريخية [6].

أما كتاب " **عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط** ": فهو أول كتاب ألفه في تاريخ مصر الإسلامي الأول، ثم اتبعه بكتاب اتعاظ الحنفا الذي أرّخ لمصر زمن الفاطميين، ليأتي من بعدهما " **السلوك لمعرفة دول الملوك**" فيغطي العهدين الأيوبي والمملوكي أراد به المقريزي أن يكون خاتمة لحلقة كبيرة عنى بها بالتأريخ لمصر في ظل حُكم سلاطين الأيوبيين والمماليك، وقد نظمت مادته على الحوليات الحاوية للحوادث والتراجم وإن توسط في إيراد الحوادث،

---

[1] **الملك الناصر زين الدين فرج بن الظاهر برقوق من أم ولد رومية الجنس تولى السلطنة بعهد من أبيه وعمره ثلاث عشرة سنة. راجع ابن إياس، محمد بن احمد بن إياس الحنفي . *بدائع الزهور في وقائع الدهور* . تح محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2، 1983م، ج1، ق2، ص 536.**

[2] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات* . ص 172-173.**

[3] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج 2، ص 22.**

[4] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات* . ص 176-178.**

[5] **الروك: لفظ متداول منذ العصر الأيوبي معناه: مسح الأراضي الزراعية بهدف فرض ضرائب عليها، ومن ثم إعادة توزيع الاقطاعات بين المقطعين من الأمراء والأجناد ضمن إطار جديد. وقد جرى روك أراضي مصر في عهد السلطان حسام الدين لاجين، ثم أدخل السلطان الناصر محمد بن قلاوون تعديلاً على نظام توزيع الأراضي عُرف بالروك الناصري. راجع الخطيب، مصطفى عبد الكريم . *معجم المصطلحات والألقاب التاريخية* . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1996م، ص 214 ؛ الحجي، حياة ناصر. *صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك* . دار القلم، الكويت، ط1، 1992م، ص 24.**

[6] **المقريزي، أحمد بن علي. *السلوك*. ج1، ص 15.**

واقتضب في إيراد التراجم اكتفاءً بما ورد منها في مؤلف أخر له هو **التاريخ الكبير المقفى** [1] **والمنتقى من أخبار مصر** لابن ميسر: [2] يضم الفترة بين سنتي 439-553هـ/ 1047-1159م.

أما "**النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**": فرسالة تدور حول استئثار بني أمية والعباسيين من بني هاشم بالخلافة دون الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) وبنيه. أشار المقريزي من خلالها إلى ما كان من منافسة بين بني أمية وبني هاشم فيما قبل الإسلام وبعده، ومعاداة بني أمية للرسول (ﷺ) وعدم إخلاص زعاماتهم للإسلام مع تولية الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين لهم بعض الأعمال، وما آل إليه الأمر بعد ذلك من استئثار العباسيين بالخلافة وتنكيلهم ببني عمومتهم العلويين معدداً مثالب الأمويين والعباسيين. [3] و" **الإشارة والإعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام** " ومختصره: يتحدثان عن تاريخ الكعبة المشرفة. وله أيضاً كتاب **الأخبار عن الأعذار** ؛ وهو غني بمعلومات اجتماعية حيث يدور حول ما يقام من ولائم في مناسبات الزواج والختان [4] **ورسالة الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة**: كتبها سنة 839هـ/ 1436م،

ومن الكتب التي تعنى بالتاريخ الإسلامي العام كتابا **امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحَفَدَةِ والمتاع، والدرة المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية** أما كتاب **الخبر عن البشر** فقد عنى به بتاريخ العالم بالإجمال.

وللوصول إلى ما نتطلع إليه يتوجب علينا دراسة أهم كتب المقريزي وأكثرها شيوعاً. ألا وهو كتاب الخطط المقريزية:

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية

أ. التعريف بمادة الكتاب:

مؤلف في تاريخ مصر وخططها، ينقسم إلى مقدمة وسبعة فصول فأما المقدمة فقد أشار فيها إلى دافعه لتأليف الكتاب ومحتواه ومنهجه في تنظيم مادته الذي تميز بالابتعاد عن اتباع نظام الحوليات لعدم إدراكه زمن جميع الحوادث التي مرت بها مصر، ولا سيما في العصور القديمة، وابتعد عن أسلوب التراجم لكي لا يخرج عن الغاية من تأليفه؛ وهي إيراد جملة من أخبار مصر، وأحوال سكانها ومصائرهم عبر التاريخ، وما خلّفوه من آثار سواء كانت باقية أم بائدة. [5]

أما أجزاء هذا الكتاب وفصوله فهي سبعة: أولها: يشتمل على أخبار أرض مصر وأحوال نيلها، وخراجها، وجبالها وثانيها: يشتمل على كثير من مدنها التي جعلها ثلاثة أنواع منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه، ومنها ما عرف اسمه وبقى رسمه، ومنها ما هو عامر محدداً ما كان منها دار ملك "حاضرة" متتبعاً لتاريخها وعمرانها قبل الإسلام وبعده. أما ثالثها فيشتمل على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها، ويتحدث عن عواصم مصر ما بين الفتح العربي الإسلامي والفترة الفاطمية؛ وهي الفسطاط والقطائع والعسكر معللاً لتسمية كل منها معرفاً بموضعها قبل البناء وما آلت

---

[1] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات*. ص 201-202.**

[2] **تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن ميسر توفي في القاهرة 677هـ/ 1278م. راجع كحالة، عمر رضا. *معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية*. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م، ج3، ص 555.**

[3] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات*. ص 213، 216.**

[4] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج 2، ص 22 . 23.**

[5] **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي(ت 845هـ/ 1441م). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثا* ر. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987م، ج1، ص 2-4.**

إليه بعده، وما عرف من أسباب أو علل أدت إلى خرابها. أما الفصل الرابع فيشمل: أخبار القاهرة وسكانها، وما كان لهم من الآثار معرفاً بموضعها قبل البناء، وحدودها، وما كانت عليه زمن الفاطميين ووصف أسوارها وأبوابها ومسالكها وخططها مستطرداً بالتعريف بالدعوة الفاطمية، ومراسم الخلفاء الفاطميين، واحتفالاتهم، وغيرها من أمور. والخامس الذي يكتسب أهمية خاصة كون المقريزي يتحدث فيه عن القاهرة ومصر في الزمن المعاصر له معدداً ما بهما من أشهر الحارات والدروب والميادين والقصور والحمامات والفنادق والأسواق والكنائس والمدارس البيمارستانات وغير ذلك من خطط. والسادس: فيشتمل على ذكر قلعة الجبل [1] وملوكها، وما احتوته من العمائر كالمساجد والقصور والخزائن والدواوين فضلاً عن السور وأبوابه مشيراً إلى ما ارتبط بها من الرسوم معرفاً أرباب الوظائف فيها. أما الفصل السابع والأخير: فيشتمل على ذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب إقليم مصر.

وهكذا فقد جمع الكتاب بين العديد من المباحث التاريخية والأثرية والجغرافية واللغوية والفقهية والاقتصادية والاجتماعية مما جعله موسوعة لتاريخ مصر السياسي والحضاري وشمل الحيز المكاني له كافة أرجاء مصر، أما الحيز الزماني فقد اتسع ليشمل تاريخ مصر ما بين عصر الفراعنة وعصر المؤلف. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الجزء السابع من الكتاب ليس بين أيدينا في الموجود من مخطوط الكتاب ومطبوعاته. [2]

ب. مصادر كتاب الخطط

لقد تعددت أنواع المصادر فمنها: المشاهدة والمشاركة: ويمثلها قوله في معرض الحديث عن قصر الزمرد [3] *"وجد به سنة بضع وسبعين وسبعمائة ... عمودان عظيمان من الرخام الأبيض فعمل لهما ... رئيس الحراريق السلطانية اساقيل وجرّهما إلى المدرسة ... وأدركنا لجرّ هذين العمودين أوقاتاً في أيام تجمع الناس فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك، ... وعملوا أنموذجات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجرّ العمود* " [4] والمشافهة: ومنها قوله: " *وأخبرني الشيخ المعمر ... أنه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء* " [5] واعتمد بشكل كبير على الخطوط والآثار في مصادره كنحو قوله في باب زويلة [6] أحد أبواب القاهرة " *ومن تأمّل الأسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه فأنه فأنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه* " [7] كما اعتمد على الوثائق الرسمية: ويمثلها قوله في في المدرسة السيوفية: [8] " *.... كتاب وقفها موجود، قد وقفت عليه، ولخصت منه ما ذكرته، ...* " واعتمد المقريزي أيضاً على مؤلفات من سبقه من كبار العلماء في مختلف فروع المعرفة المتداولة في عصره كاللغة والحديث والفقه،

---

[1] قلعة الجبل: بنيت سنة 576هـ/ 1180م تقع القلعة على ربوة صخرية من جبل المقطم. بهنسي ، عفيف . *الفن الإسلامي* . دمشق، 1986م، ص 277.

[2] علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات* . ص 222.

[3] قصر الزمرد: من جملة القصر الكبير يُعرف بقصر قوصون أو قصر الحجازية، سُمي بقصر الزمرد لأنه كان بجوار باب الزمرد أحد أبواب القصر الكبير. المقريزي، أحمد بن علي. *المواعظ والاعتبار* . ج2، ص 155.

[4] المقريزي، أحمد بن علي. *المواعظ والاعتبار* . ج1، ص 404.

[5] علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات* . ص 236.

[6] باب زويلة: شيد سنة 485هـ/ 1092م ضمن برجين دائريين. للمزيد ماجد ، عبد المنعم . *ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر* . دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1994م، ص 13.

[7] المقريزي، أحمد بن علي. *المواعظ والاعتبار* . ج1، ص 381.

[8] بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 572هـ/ 1161م، وأوقفها على الحنفية. ابن إياس، محمد بن احمد . *بدائع الزهور* . ج1، ق1، ص 243.

ومصادر التصوف، والمصادر العقائدية والفلسفية، وفي مجالات الطب والصيدلة، كما اعتمد على كتب الجغرافيا والرحلات وكتب التاريخ والأنساب [1] ومن المصادر الأساسية التي اعتمد عليها المقريزي في كتابه هذا خطط القاهرة للأوحدي [2]حتى أنَّ السخاوي اتهم المقريزي بأنّه أخذها ونسبها لنفسه مع زيادات لكن المقريزي عاد واعترف بفضل خطط الأوحدي وانتفاعه بمسوداته، وذلك في كتابه درر العقود الفريدة حيث ذكر في معرض حديثه عن الأوحدي *"وأعانني الله بمسودات من خطه في خطط القاهرة، ضممتها كتابي الكبير المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"* [3]

❖ كتب التراجم:

أبرزها كتاب **ضوء الساري في معرفة أخبار تميم الداري** ، ورسالة **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام:** أورد فيها أخبار الملة الإسلامية ببلاد الحبشة تلقاها أثناء إقامته في مكة سنة 839هـ/1436م من العارفين بأخبارهم.

ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة: معجم يشمل أعلام عصره في مختلف الأقطار في الشام والحجاز واليمن والمغرب والهند والحبشة ما داموا قد اشتهروا في عصره، واطلع على ترجماتهم. [4]

والتاريخ الكبير المقفى في تاريخ أهل مصر والواردين عليها: معجم تاريخي ضخم أتى في ست عشرة مجلداً ترجم فيه لمشاهير أهل مصر منذ ما قبل الإسلام حتى وقته على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم، ممن استقروا فيها أو تحولوا عنها إلى غيرها أو حتى من دخلها عابراً للحج. وله أيضاً **التذكرة،** وكتاب **الذهب المسبوك بذكر من حجّ من الخلفاء والملوك، والبيان والإعراب عَمَّن في أرض مصر من الأعراب،** وله كتاب **خلاصة التبر في كتاب السر.**

ومن مؤلفاته في مجال العقائد **كتاب تجريد التوحيد المفيد:** يدور موضوعه حول علم التوحيد أحاط به بالإضافة إلى الموضوع الديني التقليدي التعريف بالكثير من الفرق الإسلامية، ذاكراً من خلالها مذاهبها وأدلتها مناقشاً لها. [5] **وشارع النجاة:** ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول دياناتهم وفروعها مع بيان أدلتها ووجه الحق فيها.

❖ كتب الفقه والحديث:

من أهمها **مختصر الكامل في الضعفاء:** [1] لخّصه المقريزي. [2] **ورسالة معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من من الحق على من عداهم:** تتحدث حول ما يجب لآل البيت النبوي على المسلمين من حبهم وإجلالهم، ونصرتهم

---

[1] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات*. ص 239-246.**

[2] **شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان بن عبد الله الأوحدي توفي سنة 811هـ/ 1408م. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج1، ص 358-359.**

[3] **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت 845هـ/ 1441م). *درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة* . تح عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 1995م، ج1، ص 247 . 248.**

[4] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات*. ص 196.**

[5] **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت 845هـ/ 1441م). *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا* . تح جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1996م، ج1، ص 14-16؛ علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات*. ص 187-191.**

ومودتهم. انتهى المقريزي من تأليفها سنة 841هـ/ 1438م، **ورسالة حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر** [3] **ورسالة حصول الأنعام والمير في سؤال خاتمة الخير:** تدور حول سؤال العبد ربه أن يختم له ولأخيه المؤمن بخير. [4]

❖ **الكتب الاقتصادية:**

أهمها **شذور العقود في ذكر النقود:** قسمه لعدة فصول، تحدَّث في الأول عن النقود القديمة في ما قبل الإسلام، وجعل الثاني للتعريف بالنقود الإسلامية وتطورها، أما في الفصل الثالث ففصّل في النقود المصرية. وهو بهذه الفصول يشير إلى أنواع النقود وأوزانها وأعيرتها. [5] ومن أشهر مؤلفاته رسالة إغاثة الأمة بكشف الغمة: يتحدث فيها عن ما حلَّ بمصر من غلاء، وما ترتب عليه من مجاعات أو كوارث فيما قبل نشوء الإسلام وبعده حتى عام 808هـ/ 1405م محصياً منها ستاً وعشرين حادثة خصَّ مصر الإسلامية منها عشرين، وردت على سبيل الأمثلة لا الحصر إلا أنّه لم يكتفِ بتعدادها، بل حاول استخلاص الأسباب التي أدت إليها، واقتراح الحلول المناسبة لها، فردَّ حدوث هذه المحن إلى نوعين من الأسباب: إما طبيعية؛ كقصور جري النيل، وعدم نزول المطر في الشام والعراق والحجاز، وما يصيب الغلات من الآفات أو غير طبيعية ترجع إلى سوء تدبير ولاة الأمور ورواج الفلوس النحاسية، [6] وفي هذا العامل الأخير يكمن لب المشكلة وحلها في رأي المقريزي الذي أخذ في دراسته هذه بمبدأ السببية متنكراً لمبدأ القدرية الذي كان رافضاً له منذ الشروع في تأليف هذه الرسالة [7] مبيناً ما للنقد من أثر عظيم في المجالين الاقتصادي والاجتماعي للشعوب موجهاً بعض عناصر هذه الدراسة وجهةً تهدف للتخويف من الاحتكار والتلاعب في الأسعار فأشار إلى أنَّ كثير من التجار الذين احتكروا البضائع في الأزمات فقدوا ثرواتهم بعد فساد تلك البضائع والسلع نتيجة التخزين الطويل. [8]

❖ **كتبه في العلوم العقلية:**

ومنها كتاب **المقاصد السَنية في معرفة الأجسام المعدنية** فذكر في مقدمته "فهذه مقالة وجيزة في ذكر المعادن قيدتها تذكرة لي ولمن شاء الله تعالى من عباده ..." [9] وكتاب **إزالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء ، والإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء:** إحدى رسائل المقريزي كتبها سنة 823هـ/ 1420م مستعرضاً من خلالها معارفه الأدبية واللغوية والبلاغية والفقهية، وهي تدور حول حل وتفسير لغز عن الماء لكن مما يؤخذ على هذه الرسالة ما تخللها من التسليم ببعض الخرافات، كتأكيده على كراهية الماء للنساء وحبه للغلمان. [10] **ومجمع الفرائد ومنبع الفوائد:**

---

[1] **الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة لع بد الله بن محمد المعروف بابن عدي الجرجاني توفي سنة 365هـ/ 976م. انظر حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله . *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* . دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج 2، ص 1382.**

[2] **المقريزي، أحمد بن علي. *السلوك*. ج1، ص 15-16**

[3] **المقريزي، أحمد بن علي. *رسائل المقريزي*. ص 179، 247.**

[4] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات* . ص 191.**

[5] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات* . ص 201-202**

[6] **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت 845هـ/ 1441م). *إغاثة الأمة بكشف الغمة* . تح ياسر سيد صالحين، د.ن، القاهرة، د.ط، 1999م، ص 36 . 41.**

[7] **المقريزي، أحمد بن علي. *إغاثة الأمة* . ص 1 . 2.**

[8] **المقريزي، أحمد بن علي. *إغاثة الأمة* . ص 29 . 30**

[9] **المقريزي، أحمد بن علي. *رسائل المقريزي*. ص 215**

[10] **علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات* . ص 178 . 179**

ذكره السخاوي مشيراً إلى أنه يشتمل على علمي العقل والنقل، المحتوي على فني الجد والهزل، بلغت مجلداته نحو المائة. [1]

ورسالة نَحل عبر النحل التي تدور حول النحل وما يخلف عنه من عسل وشمع مستلهماً منه العبرة والعظة لبني الإنسان ذكر في مقدمته "فهذا قول وجيز في ذكر النحل، وما أودع فيه الباري جلت قدرته من غرائب الحكمة، وعجائب الصنع، يعتبر أولوا الأبصار، ويتذكر أرباب الاعتبار، والله الموفق" [2]

بعد دراسة مؤلفات المقريزي نجد أنه امتاز بثلاثة صفات مصريته وعروبته وإسلامه، فمصريته تبدو في تحمسه للتأريخ لمصر في مختلف أطوارها قبل الإسلام وبعده فألف الخطط، ثم عمد لتفصيل تاريخ مصر الإسلامي من خلال عدة مؤلفات متتابعة. أما عروبته فكانت دافعاً قوياً لتأليف البيان والإعراب، أما إسلامه فيظهر بعاطفته الدينية المبثوثة بسائر مؤلفاته.

وبذلك يمكننا اعتبار المقريزي كبير مؤرخي العصر الإسلامي وزعيمهم دون منازع، وقد أهله لهذه الزعامة إنتاجه الضخم الذي جاء على نوعين كتب أو كتيبات صغيرة وكتب موسوعية كبرى وتشير مؤلفات المقريزي الصغيرة إلى معرفته العلمية الواسعة فكان يحب المعرفة لذاتها، ويجد المتعة في البحث والدراسة والاستقصاء فهو ينص في مقدمات معظم هذه المؤلفات الصغرى على أنه لم يقدم على كتابتها استجابة لطلب أمير أو سلطان، وإنما اشباعاً لذاته المتطلعة للاستزادة من العلم والمعرفة، والميزة الأخرى في هذه الكتيبات أنه ألف معظمها في أخريات أيامه، وبعد أن تمَّ نضجه الفكري، واتسعت معارفه، أما مؤلفاته الكبيرة فقد عنى بمعظمها التأريخ لمصر في مختلف عصورها قبل الإسلام وبعده من منطلق وطني عبر عنه في مقدمة كتابه المواعظ والاعتبار الذي أرخ فيه لأهم المدن المصرية العامرة والمندثرة، كما ألف سلسلة من الكتب التي تؤرخ لمصر سياسياً جاعلاً كل كتاب يختص بعصر معين من تاريخها.

ثانياً: ابن حجر العسقلاني 773-852هـ/ 1372-1448م

1. نسبه ونشأته:

ولد أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد [3] المعروف بابن حجر الكناني العسقلاني العسقلاني الشافعي في سنة 773هـ/ 1372م، وقد كناه أبوه بأبي الفضل، [4] أما شهرته بابن حجر فلا يجزم إنْ كان لقباً لأحمد الأعلى في نسبه، أم اسماً لوالد أحمد المشار إليه، [5] على حين أنَّ الكناني قد وردت بخط ابن حجر مرة بأنه كناني النسب، والعسقلاني نسبة إلى عسقلان [6] حيث يعود أصل عائلته إليها، نقلهم منها صلاح الدين الأيوبي

---

[1] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج 2، ص 23**

[2] **المقريزي، أحمد بن علي. *رسائل المقريزي*. ص 279**

[3] **نسب ابن حجر مضطرب لا ضابط له حيث يقرأ طرداً أو عكساً فلا يتهيأ ذلك إلا بتأخير محمود على أحمد بإسقاطه. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر* . تح إبراهيم عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1999م، ج1، ص 101.**

[4] **ابن حجر، أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م). *إنباء الغمر بأنباء العمر* . تح حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، 1969م، ج1، ص 117.**

[5] **عز الدين، محمد. *ابن حجر العسقلاني مؤرخاً* . عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م، ص 13-15.**

[6] **عسقلان: مدينة في الشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين. الحموي، ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان. ج 2، ص 122.**

لما
خربها. [1]

نشأ يتيماً في كنف أحد أوصيائه الزكيّ الخروبي [2] الذي أدخله الكتّاب فختم القرآن وله تسع سنين، [3] كما هيأ له الجو المناسب للإقبال على الاشتغال بالعلم، فحفظ كتباً من مختصرات العلوم كالعمدة في الأحكام لابن سرور المقدسي [4] والحاوي الصغير كتاب أبيه، [5] وبعد وفاته انتقل ابن حجر إلى وصاية شمس الدين بن القطان [6] فحضر فحضر دروسه في الفقه والعربية، وأقبل على النظر في التاريخ وفنون الأدب ففاق فيها حتى كان لا يسمع شعراً إلا ويستحضر من أين أخذه ناظمه، كما برز اهتمامه بالحديث النبوي فأقبل عليه منذ 796هـ/ 1394م أخذاً عمن بقي من مشايخ عصره. [7]

وكان ابن حجر حريصاً على ملازمة الشيوخ والعلماء والانتفاع منهم، وقد عبر عن ذلك بقوله:

وإذا الديار تنكرت سافرت في طلب المعارف هاجراً لدياري
وإذا أقمت فمؤنسي كتبي، فلا أنفك في الحالين من أسفاري

وابتدأ رحلاته من بلاد الصعيد سنة 793هـ/ 1391م، ثم رحل إلى الإسكندرية 797هـ/ 1395م والتقى فيها جماعة من المحدثين والمسندين وبعدها قصد دمشق، ثم اليمن [8] كما كان لابن حجر رحلتين إلى الشام الأولى عام 802هـ/1400م، وقد اتسعت معارفه بما أخذه عن العلماء بها. [9] والثانية سنة 836هـ/ 1433م حين سافر إلى حلب حلب بصحبة السلطان الأشرف برسباي [10] [11] وقد عمل ابن حجر بمجالات مختلفة، فتولى منصب القضاء على مضض، كما عمل بالتدريس في أماكن عديدة ومواد متعددة، وولى مشيخة الخانقاه البيبرسية [12] ونظرها، والإفتاء بدار

---

[1] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الجواهر والدرر*. ص 103.

[2] أبو بكر بن علي بن محمد بن علي زكي الدين الخروبي رئيس التجار بالديار المصرية، كان كثير العطاء للفقهاء والشعراء توفي سنة 787هـ/ 1385م. ابن حجر، أحمد بن علي. *الدرر الكامنة*. ج1، ص 450 . 451.

[3] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الجواهر والدرر*. ص 121.

[4] عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي توفي سنة 600هـ/ 1204م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج6، ص 561.

[5] مختصر أبيه في الحاوي الصغير في الفقه الشافعي للنجم القزويني ت 695هـ/ 1296م.

[6] شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن عمر بن عيسى المصري الشافعي المعروف بابن القطان ت 813هـ/ 1411م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج9، ص 155.

[7] عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 22-25 ؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الجواهر والدرر*. ص 126.

[8] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الجواهر والدرر*. ص 142 ؛ عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 32-34.

[9] عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 43-45.

[10] السلطان الأشرف برسباي بن عبد الله تولى السلطنة بين عامي (825 . 841هـ/ 1422 . 1438م). ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج9، ص 347 . 348.

[11] عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 50.

[12] تنسب إلى السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير بناها قبل أن يتولى السلطنة، وذلك سنة 706هـ/ 1306م. المقريزي، أحمد بن علي. *المواعظ والاعتبار*. ج2، ص 416.

العدل، والخطابة بالجامع الأزهر، وخزن الكتب بالمدرسة المحمودية [1] فاشتهر ذكره، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى. [2]

وقد توفي ابن حجر العسقلاني سنة 852هـ/ 1448م، وشارك بجنازته حوالي 50 ألفاً أو أكثر، وقد حضرها السلطان الذي أشار على الخليفة العباسي بالصلاة عليه، وأقام القراء والوعاظ على قبره أسبوعاً لعمل الختمات وإنشاد المراثي، كما جرت صلاة الغائب عليه في مكة والقدس وحلب ودمشق وغيرها. [3]

2 . أهم كتبه والمنهج المتبع بها:

مما ذكرنا يتبين أنَّ ابن حجر يمتلك مخزوناً كبيراً من الكتب أهمها:

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أكبر معجم للرجال في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد كانت الغاية من تأليفه إيراد سيرة أبرز أعلام هذا القرن، مع عناية خاصة برواة الحديث النبوي [4] ولم يهمل النساء النساء فترجم للمحدثات والعابدات، وكسب كتابه شأناً تاريخياً خاصاً بما ورد فيه من تراجم ملوك المغول وأمراء التتر وسلاطين الترك. وقد نظم ما أورده من تراجم على حروف المعجم. [5] كما اعتمد في معظم الكتاب على موارد متعددة متعددة [6]

أما **ذيل الدرر** فيتضمن تراجم أعيان القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وقد نظم التراجم على السنيين، ولكنه جعلها في كل سنة على حروف المعجم. وتجدر الإشارة إلى أنَّه قد استعان بمؤلفه إنباء الغمر بأنباء العمر في تأليفه. [7] وله أيضاً كتاب **رفع الإصر عن قضاة مصر:** يتضمن تراجم قضاة مصر خلال ثماني قرون منذ دخل الإسلام إليها حتى انتهاء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وقد جعله على الطبقات بحسب السنيين، أما أهم النقاط المبحوثة في الأشخاص المترجم لهم فيه؛ فهي الاسم، اللقب، النسبة، المولد، الوفاة، المذهب، نوبات القضاء مؤرخة. وتكمن أهمية الكتاب بإبرازه كيفية تفشي الفساد في العصر المملوكي حيث أصبحت الرشوة الطريق للحصول على المنصب. [8]

ومن أشهر كتب ابن حجر في مجال الحديث: **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس** ؛ وهو يضم تراجم حوالي 450 شيخاً من شيوخه بالسماع والإجازة والإفادة، وقد رتبهم على حروف المعجم في قسمين الأول: بمن روى عنه والثاني: للباقين. وجعلهم من حيث علو مرتبة الأستاذ خمس مراتب. [9] وله أيضاً كتاب **الإصابة في تمييز الصحابة**

---

[1] **أسسها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار 797هـ/ 1395م. الحجي، حياة ناصر. *صور من الحضارة العربية الإسلامية* . ص 158.**

[2] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج2، ص 39.**

[3] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الجواهر والدرر*. ص 1194-1197.**

[4] **ابن حجر، أحمد بن علي. *الدرر الكامنة* . ج1، ص 4.**

[5] **مصطفى، شاكر. *التاريخ العربي والمؤرخون*. دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م، ج3، ص 153.**

[6] **من أهمها أعيان العصر للصفدي، ومجاني العصر لأبي حيان وذهبية القصر لابن فضل الله، وتاريخ مصر لقطب الدين الحلبي وذيل سير أعلام النبلاء للذهبي والوفيات للدمياطي، وذيل ذيل المرآة للحافظ البرزالي، والوفيات لتقي الدين بن رافع، وتاريخ ابن خلدون وتاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب إضافة لعدد من المصادر الأخرى . ابن حجر، أحمد بن علي. *الدرر الكامنة* . ج1، ص 5.**

[7] **مصطفى، شاكر. *التاريخ العربي والمؤرخون*. ج3، ص 154**

[8] **ابن حجر، أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م). *رفع الإصر عن قضاة مصر* . تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998، ص 3 . 4.**

[9] **المقريزي، أحمد بن علي. *السلوك*. ج1، ص 25-26.**

رتب فيه الصحابة على حروف المعجم، ثم رتبهم داخل كل حرف على أربعة أقسام من وردت عنه رواية، ومن رأى الرسول (ﷺ) فقط، ومن لم يره ولكنه من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وأخيراً من ورد اسمه عن خطأ أو ذهول في كتب مصنفي الصحابة وهذا القسم الأخير هو أهم ما في الكتاب لما فيه من التحقيق التاريخي الذي لم يسبقه إليه أحد. وكان ابن حجر بدأ هذا الكتاب بمقدمة من ثلاثة فصول عرف فيها الصحابي، وطريقة معرفته، وبيان عدالته فخصص باباً للصحابة المعروفين بالكنى وباباً للصحابيات.

وله كتاب **الإعلام فيمن سمي محمداً قبل الإسلام ، والإعلام بمن ولي مصر في الإسلام ، وتعريف الفئة في معرفة من عاش مئة ، والقصد الأحمد فيمن كنيته أبو الفضل واسمه أحمد** . وكلها كتب تراجم. ومن مؤلفاته **النبأ الأنبه في بناء الكعبة** وكتاب **جلب حلب:** يتألف من أربع أجزاء في الحديث. **وقصة هاروت وماروت ، وتوضيح المشتبه** في الأنساب للأزدي [1]

3 . منهج ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأنباء العمر:

أ.التعريف بمادة الكتاب:

أرخ فيه للدولة المملوكية والدول التي ارتبطت معها بعلاقات أياً كانت صورتها، وأورد فيه تراجم الرجال والنساء الذين قُدرَ لهم أن يموتوا خلال الحقبة التي يتضمنها فالحيز المكاني للكتاب شمل الشام ومصر والمناطق المجاورة لها. والحيز الزماني شمل الحقبة الممتدة بين عامي (773 . 850هـ/ 1372 . 1446م). ويُعاصر الكتاب ظروف قيام دولة المماليك الجراكسة، وسيرة أبرز سلاطينها. ولم يكتفِ ابن حجر بذكر الأحداث السياسية خلال هذه الحقبة بل تناول أيضاً الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ولم تفته الإشارة إلى الأدب الشعبي، مما يمكننا معه رسم صورة حية لهذا المجتمع. ثم ترجم لكبار الأعلام ومشاهير النساء في عالم العلم والغناء والسياسة، كما أشار إلى تطورات الحياة اليومية. بالإضافة إلى ما تضمنه الإنباء من وثائق ضاعت أصولها أو استكتبها من أصحابها أنفسهم، فكانت له بذلك أسبقية على كثير من مؤلفات غيره. [2]

وترك ابن حجر كتابه الإنباء مسودة لم يمهله الأجل ليبيضها، فكانت تلك مسؤولية ملقاة على عاتق النساخ الذين وجدوا أمامهم كماً هائلاً من المعلومات، فلم يتيسر لهم تخريجه إلا في مجلدين أو ثلاثة، دون مراعاة لرغبة المؤلف في تجزئة الكتاب إلى مجلدين يستفتح الثاني بحولية إحدى وثمان مائة للهجرة باعتبارها بداية لقرن هجري جديد. [3] هذا من حيث تجزئة الكتاب، أما من حيث تنظيمه فقد رتبه ابن حجر على مقدمة تحوي على تعريف بالكتاب بالكتاب وبمصادره والهدف منه، والإشارة إلى تعديله لمادته بعد اطلاعه على ذيل حلب لابن خطيب الناصرية، [4] وقد وقد اتبع المقدمة بمعلومات نظمت على الحوليات المتتابعة الإفراد مراعياً لذكر الحوادث وتراجم الوفيات مستقلة من حيث النسق الترتيبي. وقد تكون لبعض الحوليات طبيعة خاصة تقتضي التمييز بين نوعين من المؤلفات من تراجم

---

[1] **مصطفى، شاكر. *التاريخ العربي والمؤرخون*. ج3، ص 156 ، 163 ؛ المقريزي، أحمد بن علي. *السلوك*. ج1، ص 30-31.**

[2] **ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 22.**

[3] **ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج2، ص 35.**

[4] **علاء الدين علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عمر بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية الطائي الحلبي الشافعي المعروف بابن خطيب الناصرية توفي سنة 843هـ/ 1439م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج9، ص 359.**

الوفيات الكائنة فيها على نحو ما فعله بوفيات حولية ثمان وسبعين وسبعمائة للهجرة حيث وردت تحت عنوانين هما " ذكر من مات في سنة ... من الأعيان" و " وفيها مات من الأمراء: ..." [1]

أما الأحداث فقد حرص فيها على أن تأتي متتابعة التسلسل في صدر حولياتها، وقد فصل بين حولية وأخرى بعبارة "سنة كذا" لكن قد تتصدر بعض الحوادث حولية بعينها باعتبار نوعيتها المغايرة لسائر الحوادث المتتابعة الإفراد، وقد فصل الحوادث المتميزة عن غيرها من الحوادث المتعاقبة [2] من ذلك قوله في حولية ثمان وعشرين وثماني مائة للهجرة " ذكر غزاة قبرص الأولى سنة ثمان وعشرين" [3] ليفصل بين أخبارها، وبين ما سبقها من الأخبار الفرادى المتوالية التتابع. وتجدر الإشارة إلى وجود علاقة وثيقة بين الحوادث والتراجم في كتاب الإنباء وهي نوعين الأولى: علاقة زمانية لاشتراكهما من حيث الوقوع والحدث في حيز زماني واحد هو الحول الواقع فيه كلاهما. والثانية تكون حسب الموضوع حيث توجد عدة حالات: الأولى: الترجمة بالإشارة الكلية إلى الحوادث: وفيها يرد اسم المترجم له في الوفيات مجرداً من أية معلومات مكتفياً بالإحالة إلى الحوادث التي غالباً تكون سابقة على ترجمته. [4] الثانية: الإحالة إلى الحوادث في تضاعيف الترجمات: وفيها يحيل في تضاعيف ترجماته إلى الحوادث مكتفياً بهذه الإحالات أو يلخص ما يتعلق بشخصية المترجم له محيلاً إلى تفاصيلها في الحوادث [5] ومن ذلك ما ورد في حولية اثنين وثمانين وسبعمائة للهجرة بخصوص أحد المترجم له من إحالة إلى الحوادث قائلاً " تقدم ذكر قتله في الحوادث" [6] الثالثة: الإحالة في الحوادث إلى تراجم الوفيات: ومنها ما ورد في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة للهجرة في معرض الحديث عن السبب في عزل أحد القضاة قوله" *.... وقرأت بخط القاضي ... أن سبب عزل ... ما تقدم من قضية أمين الحكم* " [7] [7] والقضية المشار إليها موجودة في ترجمة أحمد الزركشي [8] أمين الحكم بالقاهرة الواردة ضمن ترجمات وفيات حولية حولية ثمان وثمانين وسبعمائة للهجرة مسندة إلى المصدر نفسه كما ترجم ابن حجر لبعض الوفيات في الحوادث أحياناً وأشار إليه بعبارة " تقدم ذكره في الحوادث " كما ورد في إحدى تراجم وفيات حولية ثمان وثماني مائة للهجرة [9]

ب . مصادر كتاب إنباء الغمر بأنباء العمر:

اعتمد ابن حجر في تأليف هذا الكتاب على أنواع متعددة من المصادر أهمها: المشاهدة والمشاركة؛ فقد كان لتولي ابن حجر عدد من المناصب الهامة في الدولة المملوكية كالإفتاء بدار العدل وقضاء الشافعية إضافة إلى معرفته الشخصية لبعض سلاطين المماليك التي ربطته معهم علاقات وصلت حد الصداقة والمجالسة واستشارتهم إياه بأمور السياسة ذات الصلة بالشرع حتى لقد أخذ بعض الأخبار عنهم ناسباً كل خبر لمصدره مما وفر له مادة تاريخية

---

[1] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 134 . 137

[2] عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 120 . 121.

[3] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج3، ص 346.

[4] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 64.

[5] عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 184.

[6] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 227.

[7] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 331.

[8] شهاب الدين أحمد بن محمد الزركشي أمين الحكم في القاهرة توفي سنة 788هـ/ 1386م. ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 322

[9] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج2، ص 338.

واسعة [1] أما المشافهة فترد عنده منقولات عن طريق المشافهة منسوبة لبعض السلاطين والملوك وأرباب الدولة في مصر والشام كططر الظاهري[2]، وكذلك عن شيوخه ورفقته وصحبه وخاصة شيخه الزين العراقي [3] [4] لكنه لم يكتفِ يكتفِ بذلك فأكثر من المساءلة والمكاتبة مستنداً إلى معرفة المسؤول فيما يظن بموضوع المساءلة، ومن أمثلة ذلك قوله " وسألت أخاه شمس الدين عن مولده فيذكر أنه ولد سنة 43هـ وأنه أسن من القاضي زين الدين بعشرين سنة " [5] ويلاحظ أنَّ ابن حجر كان دائب السؤال للكثيرين ممن ترجم لهم فيما يتعلق بمولدهم ونسبهم، وقد تكون المساءلة بالمكاتبة، حيث كانت الاتصالات جارية بين العلماء، فيما يختص بإرسال المعلومات من بلد إلى آخر بغية الوقوف على الحوادث ومتابعة أخبار العلماء أول بأول، ومن أمثلته: " وكتب إليّ بوفاته الشيخ ... من تونس" [6] إضافة إلى اعتماده على المؤلفات السابقة التي تعد المصدر الأساسي لكتاب الإنباء خاصة في الفترة الممتدة بين سنتي 732هـ/ 1372م و802هـ/ 1400م، وقد اعتمد ابن حجر في مصادره على من يثق به من العلماء والمؤرخين مع نقده لبعض هذه المصادر بقسوة [7]

وبذلك فقد غلبت سمة المحدثين على ابن حجر العسقلاني الذي تميز بنقده للمصادر التي يعود إليها أثناء تأليفه للكتب التاريخية نقداً منطلقاً من مفهومه للتاريخ مفهوماً على صلة وثيقة بالحديث النبوي وما يتبعه من جرح وتعديل، ومن تذوقه للأدب ومشاركته فيه. كما كان حريصاً على إيراد جميع الآراء الموافقة والمخالفة له بهدف إعطاء صورة مكتملة عن الأحداث التي يعالجها.

ثالثاً: السخّاوي 831-902هـ/ 1428-1497م

1. نسبه ونشأته:

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي [8] الشافعي يُلقب الحافظ شمس الدين أبو الخير وأبو عبد الله بن الزين أو الجلال أبي الفضل وأبي محمد، ويعرف بالسخاوي، وربما قيل له ابن البارد ولا يناديه بهذا اللقب إلا أناس مقربين أو من أراد أنْ يحتقره. أما نشأته: فقد ولد السخاوي عام 831هـ/1428م [9] وفي الرابعة من عمره انتقل للسكن بجوار ابن حجر العسقلاني وقد تتلمذ على يده، ولازمه أربعة عشر عاماً إلى أن توفي ابن حجر، وقد تركت هذه السنوات في نفس السخاوي أكبر الأثر. فكان في الجهد العلمي وألوان الاهتمام الثقافي امتداداً

---

[1] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 23.

[2] ططر بن عبد الله الظاهري أحد مماليك الظاهر برقوق ترقى في المناصب حتى تولى الوصاية على ولد الملك المؤيد قبل أن يخلعه ويتولى السلطنة توفي سنة 824هـ/ 1421م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج9، ص 241.

[3] عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي عمل بالتدريس والافتاء في مصر ودمشق ومكة. ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج1، ص 20.

[4] عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 200.

[5] ابن حجر، أحمد بن علي. *إنباء الغمر*. ج3، ص 486.

[6] عز الدين، محمد. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً. ص 203.

[7] روزنثال، فرانز. *علم التأريخ عند المسلمين*. تر صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1983م، ص 757-758.

[8] نسبة إلى سخا بلد غربي الفسطاط، وكانت النسبة إليها عند المتقدمين السخوي. الحموي ، ياقوت بن عبد الله . *معجم البلدان*. ج3، ص 196.

[9] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج8، ص 2.

لابن حجر. [1] وتجدر الإشارة إلى أنَّ السخّاوي حفظ القرآن في وقت مبكر، كما حفظ كتب عدة في الفقه واللغة، وبرع في العربية والفقه والتفسير والعروض، وأذن له غير واحد من شيوخه بالإفتاء والتدريس والإملاء، بل كان الكثير منهم يرسل إليه بالفتاوى أو يسأله شفاهاً. [2] كما كان بارعاً بالحديث وذلك نتيجة ملازمته الطويلة لشيخه ابن حجر، فأخذ عنه أكثر تصانيفه، وأذن له ابن حجر. كما أخذ عنه الكثير من التواريخ والتراجم، وكان يروي صحيح بخاري عن أكثر من مائة وعشرين شيخاً. ولقد رحل السخاوي في الآفاق وجاب البلاد طلباً للعلم فدخل حلب، ودمشق، وبيت المقدس وغيرها، فاجتمع له من المرويات بالسماع والقراءة الكثير. ولقي في رحلاته جماعة من العلماء وأخذ عنهم، ثم عاد إلى القاهرة بعد عدة سنوات من الترحال التي حصل فيها إضافة لمعارفه في الحديث والتاريخ وعلوم النحو والفقه والبلاغة والتصوف [3] وقام بالتدريس في أعظم مدارس القاهرة، كما عُرض عليه تولي قضاء مصر لكنه اعتذر ورشح السيوطي [4] لهذا الأمر [5] ويُذكر أنَّ السخاوي أكثَّر من الحج بعدما تقدم به العمر فحج ست مرات، وكان ينتهز الفرصة لِيُقْرِئ ويدرّس حتى غدت مكة بمثابة الوطن الثاني له. وقد نأى بنفسه عن الأعمال العامة في السنوات الأخيرة من عمره، وتكاثر عليه الطلاب والدارسون في منزله. وحين سافر لحجته السابعة 902هـ/1497 م وافاه الأجل في المدينة.

2. أهم مؤلفات السخاوي:

تمتع السخاوي بوافر من الكتب من أبرزها:

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: موسوعة حافلة تعرض تراجم المائة التاسعة للهجرة نهج السخاوي فيها منهج ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة، وإن كان قد رتبه على الحروف. ويمكن اعتباره دائرة معارف عصره في علماء هذا القرن غير أنه كان شديد الصراحة والقسوة أحياناً في تناوله تراجم أشهر أعلام عصره، فلم يسلم من نقده سوى شيخه ابن حجر، وقد اختصم بسبب قلمه مع الكثيرين. وهذا ما دفع السيوطي إلى الرد عليه في مقالة سماها "الكاوي في تاريخ السخاوي" ثم عاد عليه الكرة في "نظم العقيان" [6] وذكر السخاوي الغرض من هذا الكتاب بقوله: "*جمعت فيه من علمته من أهل هذا القرن ... من سائر العلماء والقضاة والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والمباشرين والوزراء مصرياً كان أو شامياً حجازياً أو يمنياً رومياً أو هندياً مشرقياً أو مغربياً* " [7] وبالتالي فإن الحيز الزمني للكتاب يشمل الفترة الممتدة طوال القرن التاسع للهجرة. أما الحيز المكاني فقد امتد ليشمل أكبر رقعة ممكنة من المشرق والمغرب.

---

[1] **مصطفى، شاكر. *التاريخ العربي والمؤرخون*. ج3، ص 177.**

[2] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج8، ص 3-5.**

[3] **ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج 10، ص 23.**

[4] **جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن همام الدين الخضيري توفي سنة 911هـ/ 1505م. كحالة، عمر رضا. *معجم المؤلفين*. ج2، ص 82.**

[5] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج 8، ص 32.**

[6] **مصطفى، شاكر. *التاريخ العربي والمؤرخون*. ج3، ص 178.**

[7] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج1، ص 5.**

وقد اعتمد السخاوي على المؤلفات السابقة وخاصة مؤلفات العيني [1] والمقريزي وابن حجر وابن خطيب الناصرية إضافة إلى المشاهدة والمشاركة في الأحداث التي شكلت مصدراً لا بأس به بالنسبة للسخاوي.

وقد اختصر كتاب الضوء اللامع كل من زين الدين الشماع [2] في كتابه "القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي" وابن عبد السلام [3] وسماه " البدر الطالع في الضوء اللامع " ثم اختصر الكتاب الأخير أحمد القسطلاني [4] في "النور الساطع في مختصر الضوء اللامع"

أما كتاب **الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ؛ فهو الكتاب الوحيد تقريباً في جميع التراث الإسلامي الذي يعدد المؤرخين، ويذكر ما ألفوا في هذا العلم. لكنه ألفه من وجهة نظر دينية أي كمحدث وليس كمؤرخ فغلب فيه المحدثون الذين عملوا في التاريخ. كما أنَّه جعله مختصراً، يكتفي أحياناً بذكر الشهرة للرجل ويمضي إلى آخر. [5] وأشار السخاوي إلى أنَّ الغرض من تأليفه هو تبيان فوائد علم التاريخ، والشروط الواجب على المؤرخ الالتزام بها. [6] ومن اسم اسم الكتاب يتبين أنّه قد كتبه للدفاع عن علم التاريخ، وقد أولى كتابات وآراء المؤلفين المعاصرين له أو القريبين من عصره اهتماماً كبيراً، بينما لم يُعر بداية علم التاريخ انتباهاً كبيراً. وفي الكتاب محاولة لترتيب المقتطفات من الكتب التاريخية عن فوائد التاريخ، ترتيباً زمنياً، فيما عدا ذلك فلم يتبع مبدأ تأريخي في ترتيب المادة أو المعلومات، بل عدد المؤلفين القدامى والمحدثين، والكتب التي يعرفها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والباقية أو المشكوك في وجودها. [7]

وله **التبر المسبوك في ذيل السلوك:** يعد من الكتب الهامة التي ألفت كذيل على كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي الذي توقف بكتابه في نهاية سنة 844هـ/ 1440م أما كتاب التبر المسبوك للسخاوي فيشمل الفترة الممتدة بين عامي 845هـ/ 1441م و857هـ/ 1453م، وقد ألفه السخاوي بطلب من الدوادار يشبك بن مهدي [8] ونهج ونهج فيه منهج المقريزي في السلوك، وهو منهج الحوليات، لكن مع بعض الاختلاف؛ حيث أسهب السخاوي بتدوين حوادث تلك الحقبة المعاصرة، وذيّل كل عام بوفيات أعيانه بعد أن رتبها هجائياً. كما أن كتاب السلوك اهتم بتراجم الأتراك وأعيان الدولة أكثر من اهتمامه بتراجم القضاة والفقهاء، وكانت تراجمه موجزة. كما نلاحظ عدم اهتمام السخاوي

---

[1] بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى ابن محمود العيني توفي سنة 855هـ/ 1451م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج9، ص 418.

[2] زين الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن علي بن محمود بن الشماع الحلبي الشافعي توفي في حلب سنة 936هـ/ 1535م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج10، ص 306.

[3] أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى المنوفي الشافعي توفي سنة 931هـ/ 1525م. كحالة، عمر رضا. *معجم المؤلفين*. ج1، ص 293.

[4] شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني توفي سنة 923هـ/ 1517م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج10، ص 169.

[5] المقريزي، أحمد بن علي. السلوك، ج1، ص 44.

[6] روزنثال، فرانز. *علم التأريخ عند المسلمين*. ص 382.

[7] روزنثال، فرانز. *علم التأريخ عند المسلمين*. ص 372-373.

[8] الأمير يشبك بن مهدي الظاهري تولى نيابة الوجه القبلي في عهد الظاهر خشقدم، وترفع في المناصب حتى أصبح لا يخرج عنه شيء توفي سنة 885هـ/ 1480م. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع*. ج10، ص 272 . 274.

بتدوين تفاصيل الحياة الاقتصادية للمجتمع المملوكي، على عكس المقريزي الذي أورد في السلوك أدق الأمور الاقتصادية [1]

وله كتاب **بغية العلماء والرواة:** هو ذيل لكتاب شيخه ابن حجر "رفع الإصر" تناول فيه تراجم القضاة المصريين. وكتاب **الشافي من الألم في وفيات الأمم:** جمع فيه وفيات الأعيان في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مرتبة حسب السنيين. [2] وكتاب **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر:** عارضاً من خلاله لسيرة شيخه ابن حجر العسقلاني. [3] أما **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام:** فهو ذيل ذيل على دول الإسلام للذهبي، [4] وقد تحدث السخاوي عن غرضه منه والمنهج الذي سلكه فيه فقال: " *فهذا ذيلٌ تامّ على دول الإسلام لشيخ الحفاظ والمؤرخين أبي عبد الله الذهبي .... سلكت فيه الاختصار وسبكت من أصوله ما يعظم به الافتخار تابعاً في ذلك لأصله، ودافعاً عني اللوم للمجحف في نقله بالتوسع فيه قليلاً وإن لم أشفِ غليلاً ...* " [5]

حاول السخاوي الالتزام بذكر كل ما له علاقة بالدولة سيراً على نهج الذهبي، لكن مع ذلك لم يلتزم به التزاماً كاملاً حيث جاءت أخبار الدولة ضمن أشياء أخرى كان من عادة المؤرخين ذكرها كالظواهر الطبيعية من الأمطار والثلوج والأعاصير وغيرها وما ينتج عنها من تدمير، ومن أمثلة ذلك ما ورد في حولية سنة سبع وخمسين وسبع مائة للهجرة " *في رابع ربيع الآخر هبت ريح من جهة الغرب، وامتدت من مصر إلى الشام في يوم وليلة فغرق ببولاق نحو ثلاث مئة مركب، واقتلعت من النخيل والجميز ببلاد مصر وبلبيس* [6] *وغيرهما شيئاً كثيراً* " [7] وكذلك انتشار الأوبئة ولا سيما الطاعون و ما يتعلق بالأسعار من صعود وهبوط، ومن أمثلته ما ورد في حولية سنة تسع وأربعين وسبع مائة للهجرة " *وفي أولها، بل في أواخر التي قبلها، كان الطاعون العام بأقطار البلدان، وامتد إلى آخر المحرم من العام الآتي، ... ودخل حتى مكة المشرفة، وبلغ الموت فيه بالقاهرة كل يومٍ عشرين ألفاً، وقيل: خمسة وعشرين أو سبعة وعشرين* " [8] كما أورد فيه كل ما يتعلق بمصالح المسلمين الدينية والدنيوية، فضلاً عن المساحة المخصصة للتراجم. وقد اعتاد في بداية كل حولية أن يذكر اسم الخليفة والسلطان بمصر والشام ونائبه وعدداً من أصحاب المناصب الرفيعة، ثم يتناول أخبار التنازع بين الأمراء وما ينتج عنها. والحروب التي تتعرض لها الدولة، وعلاقتها بالدول الإسلامية الأخرى، وبالفرنج ولا سيما القبارصة، ومثالها ما أورده السخاوي في حولية سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة للهجرة " *وفي صفر صُولح الفرنج بقبرص وغيرها من جزائر البحر الجنوبية.. ... وسُرَّ الناس عموماً بهذه المصالحة، والتجار خصوصاً لتنفيق ما عندهم من البهار والسّكر وسائر البضائع عليهم* " [9] مع عناية خاصة بذكر السفارات

---

[1] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *التبر المسبوك في ذيل السلوك* . تح نجوى كامل، لبيبة مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ط، 2002م، ج 1، ص 9-10.**

[2] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. التبر المسبوك، ج 1، ص 13.**

[3] **ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج 10، ص 24 . 25.**

[4] **شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي توفي سنة 748هـ/ 1347م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج8، ص 264.**

[5] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام* . تح بشار معروف، عصام الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995م، ج 1، ص 3-4.**

[6] **بلبيس: مدينة على طريق الشام بينها وبين فسطاط مصر أربع فراسخ. الحموي، ياقوت بن عبد الله. *معجم البلدان*. ج1، ص 479.**

[7] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *وجيز الكلام*. ج 1، ص 86**

[8] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *وجيز الكلام*. ج 1، ص 34.**

[9] **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *وجيز الكلام*. ج 1، ص 180.**

بينهم. كما اهتم السخاوي بذكر أخبار الغناء والمغنيات اللاتي حظين بمنزلة كبيرة في المجتمع المملوكي وخاصة عند السلاطين فلاحق أخبارهم وما كان لهم من نفوذ، وما نتج عن ذلك من انتشار اللهو والفساد وإهمال شؤون الدولة. وأخيراً يذكر تراجم الوفيات لكل سنة بصورة مختصرة. وتأتي أهمية هذا الكتاب من حيث تناوله للتاريخ الإسلامي عموماً والمملوكي خصوصاً خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وأغلب القرن التاسع للهجرة، فتضمن مادة غنية في التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي بالإضافة إلى تصويره للحياة الفكرية التي سادت المجتمع الإسلامي في القرن التاسع الهجري. [1] وله أيضاً كتاب **عمدة الناس في مناقب سيدنا العباس** ألفه بطلب من الخليفة العباسي بمصر المتوكل على الله. [2] **والجواهر المجموعة والنوادر المسموعة ، ودفع الالتباس في ختم سيرة سيد الناس ، والرحلة الحلبية، ورفع الشكوك في مفاخر الملوك ، والفخر العلوي في المولد النبوي ، والتحصيل والبيان في قصة السيد سليمان، وبهجة الناظر في الحكايات والنوادر ، والإيناس بمناقب بني العباس ، وعمدة الأصحاب في معرفة الألقاب ، والقول النافع في بيان المساجد والجوامع ، والقول المنبي في أخبار ابن عربي:** يتحدث عن سيرة الشيخ محي الدين بن عربي، **والعقد الثمين في مشيخة خطيب المسلمين، والمفاخرة فيما بين دمشق والقاهرة.** [3]

وبذلك نجد إنَّ شمس الدين السخاوي قد سار على نهج شيخه ابن حجر سالكاً منهج المحدثين الذي يظهر بشكل جلي من خلال كتابه الإعلان بالتوبيخ، كما كان شديد النقد على المصادر حتى لم ينج من نقده سوى شيخه ابن حجر، ولقد ألف عدد من الكتب بناءً على طلب كبار رجال الدولة كالتبر المسبوك، وعمدة الناس في مناقب سيدنا العباس.

رابعاً: موقف السلطة الحاكمة من المؤرخين وعلاقتهم بها:

لقد تمتع العلماء بامتيازات كبيرة في الدولة المملوكية من خلال استئثار العديد من هؤلاء العلماء الذين عرفوا بأرباب القلم أو أهل العمامة بالوظائف الإدارية والدينية والسياسية العليا في الدولة المملوكية. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ما هي الدوافع الكامنة وراء منح المماليك هذه الامتيازات للعلماء. فقد كانت محبة السلاطين المماليك وميلهم لعلم التاريخ حتى أنَّ بعضهم مثل الظاهر بيبرس [4] الذي كان يُعرف بميله إلى التاريخ وأهله ميلاً كبيراً يَعدّ سماع التاريخ أعظم من التجارب. [5] من أهم هذه الدوافع بالإضافة إلى دوافع أخرى من أهمها أنَّ المماليك وجدوا في العلماء الأشخاص المؤهلين لإدارة شؤون الدولة من ناحية، ومن أجل السيطرة على المجتمع من خلال استغلال المكانة الكبيرة للعلماء في نفوس عامة الشعب من ناحية أخرى. خصوصاً مع إدراك المماليك أنَّ غربتهم القومية كجنس مختلف عن العرب، وأصلهم المملوكي كرقيق الذي يُنقص من مكانتهم في نظر الشعب لا يُمكن التغلب عليها، والتخفيف من حدتها، إلا التمسك بالدين الإسلامي الذي يُنادي بالمساواة بين الشعوب بغض النظر عن انتماءاتهم القومية، والعرقية. وتظهر هذه العوامل من خلال قيام العلماء بمساندة حكم السلاطين المماليك الذين اعتمدوا على فتاوى هؤلاء العلماء في كافة تصرفاتهم السياسية والاقتصادية والمالية والإدارية. لذا فقد منح السلاطين طبقة المعممين امتيازات خاصة، فكانوا

---

[1] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *وجيز الكلام*. ج 1، ص 18-20.

[2] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. ج2، ص 1172.

[3] مصطفى، شاكر. *التاريخ العربي والمؤرخون*. ج3، ص 181 . 182.

[4] الملك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي تولى الحكم بين عامي (658 . 676هـ/ 1260 . 1277م). الزركلي، خير الدين. *الأعلام قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*. دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج2، ص 79.

[5] عاشور، سعيد عبد الفتاح. عبد الحميد، سعد زغلول. العبادي، أحمد مختار. *دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية*. منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1986م، ص 64.

يتقاضون رواتب عينية إلى جانب الرواتب النقدية التي كان يحصلون عليها من السلاطين، وكانوا يرتادون مجالس السلاطين والأمراء المماليك، كما كان يُسمح لهم بركوب الخيل المسومة إلا أنَّ اختلال الأمن في أواخر عهد المماليك انعكس سلباً على موقف المماليك من أهل العمامة فكان يتعرضون من آن لآخر لبعض مظاهر الامتهان، كمنعهم من ركوب الخيل التي كان ركوبها حكراً على الطبقة العسكرية الحاكمة. كما تعرضت مرتبات بعضهم للقطع والمنع لعجز السلاطين المماليك عن الوفاء بمقتضيات الحكم، والعجز المتزايد في ميزانية الدولة في أواخر عمرها. [1]

هذا هو موقف السلطة المملوكية من طبقة العلماء بما فيهم المؤرخين بشكل عام، أما بالنسبة للموقف من المؤرخين المذكورين في هذا البحث، فقد كان موقفاً إيجابياً داعماً لهم في أغلب الأحيان. وقد يتساءل البعض عن العوامل الكامنة وراء هذا الموقف. وتأتينا الإجابة على هذا التساؤل من خلال الاطلاع على سياسة هؤلاء المؤرخين التي ضمنوها في كتاباتهم، فنجد أنَّ ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي حظيّا بدعم السلاطين المماليك الذين قلّدوهما مناصب رفيعة في الدولة سواء في مجال القضاء أو التدريس والخطابة وغيرها من الوظائف التي تجعلهم على تماس مباشر مع عامة الشعب، الأمر الذي يوفر لهم مادة غنية لمؤلفاتهم التاريخية، تكسبهم بعض المصداقية، وإنْ جاءت كتاباتهم لصالح السلاطين المماليك، بل حتى أنَّ بعض كتبهم ألفوها بطلب من السلاطين والأمراء المماليك، أو بطلب من الخليفة العباسي في القاهرة. [2]

أما بالنسبة لعلاقة تقي الدين المقريزي مع السلطات المملوكية فقد مرّتبمرحلتين؛ الأولى نال فيها منزلة رفيعة لدى السلطة الحاكمة متمثلة بالسلطانين الظاهر برقوق والناصر فرج حيث تقلد في عهديهما وظائف تدريسية وإدارية ودينية هامة، وبلغت ثقة الظاهر برقوق به حداً جعله يُرشحه للقيام بسفارة إلى تيمورلنك.

أما المرحلة الثانية فتتجلى بانعزاله عن وظائفه، وتفرغه للتأليف والعبادة، وربما يعود ذلك إلى إبعاد الأشرف برسباي له لما عُرف عنه من نقد لاذع لكل ما يجده خاطئاً. بينما يعد البعض عدم قيام المقريزي بدفع الرشى لاستعادة مناصبه، ولا سيما أنَّه لم يكن من أهل اليسار الذين يمتلكون فائضاً من المال يستخدموه في المنافسة على الوظائف. كما أنَّه بعد فقد عائلته لم يعد لديه دافع للحصول على الوظائف والجاه، بل قضى معظم وقته بالاشتغال بالعلم، وألف أهم كتبه في هذه المرحلة من حياته.[3]

خاتمة البحث:

بعد دراسة عينة من كبار المؤرخين في مصر في العصر المملوكي نستنتج وجود مدرستين تأريختين متباينتين: المدرسة الحديثية ذات التكوين الثقافي الديني؛ ومن أبرز زعمائها ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي اللذان يرفضان النقل عن أي مصدر تاريخي دون سماعه مباشرة من صاحبه أو التأكد من صحته على طريقة الجرح والتعديل التي يتبعها المحدثون، بينما مثل المقريزي مدرسة تأريخية أخرى تنظر للتاريخ نظرة أكثر شمولية وتحاول إيجاد الحلول

---

[1] الحميد، احمد شامخ. الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني في مصر والشام والحجاز (784 . 923هـ/ 1384 . 1517م). منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م، ص 124 ؛ قاسم، قاسم عبده. *بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م، ص 291 . 292.

[2] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع. ج 2، ص 39 ؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب*. ج10، ص 23 . 24.

[3] علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات*. ص 172 . 175.

للمشكلات والقضايا التي تعالجها، فساهمت بتطوير الحركة التأريخية في العصر المملوكي من خلال دراستها للتاريخ من مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ولقد مكنت العلاقات الجيدة لمؤرخي المدرستين بالسلاطين والأمراء المماليك من الاطلاع على الكتب والوثائق الرسمية، ونشرها، مما أكسب كتاباتهم نسبة عالية من المصداقية، وإن كانت جرأة بعضهم قد أبعدتهم عن مراكز القرار كالمقريزي الذي اعتزل جميع المناصب التي كان يتقلدها بعد وفاة الناصر فرج، وبقي ثلاثة عقود لا يتولى أي منصب حكومي.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1) ابن إياس، محمد بن احمد بن إياس الحنفي. *بدائع الزهور في وقائع الدهور* . تح محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1983م، ج1، ق2.

2) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* . دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د. ت، ج2.

3) ابن حجر، أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م):

- *إنباء الغمر بأنباء العمر*. تح حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، 1969م، ج1.
- *رفع الإصر عن قضاة مصر*. تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م.
- *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* . تح محمد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط 2، 1992م، ج2.

4) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/ 1229م). *معجم البلدان*. دار صادر، بيروت، د.ط، 1977م، ج1.

5) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ/ 1441م):

- *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا* . تح جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1996م، ج 1.
- *إغاثة الأمة بكشف الغمة*. تح ياسر سيد صالحين، د.ن، القاهرة، د.ط، 1999م.
- *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987م، ج1.
- *السلوك لمعرفة دول الملوك*. تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج 3.
- *رسائل المقريزي*. تح رمضان البدري، أحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1998م.

6) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1497م):

- *الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر* . تح إبراهيم عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1999م، ج1.
- *وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام* . تح بشار معروف، عصام الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995م، ج 1.

●*التبر المسبوك في ذيل السلوك* . تح نجوى كامل، لبيبة مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ط، 2002م، ج 1.

●*الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ج 2.

7) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ/ 1678م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تح عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1993م، ج9.

ثانياً: المراجع العربية:

1) بهنسي، عفيف. *الفن الإسلامي*. دمشق، 1986م.

2) الزركلي، خير الدين. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج2.

3) الحجي، حياة ناصر. *صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك*. دار القلم، الكويت، ط1، 1992م.

4) الحميد، احمد شامخ. الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني في مصر والشام والحجاز (784 . 923هـ/ 1384 . 1517م). منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م.

5) كحالة، عمر رضا. *معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية*. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م، ج3.

6) ماجد، عبد المنعم. *ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر* . دار الفكر العربي، القاهرة، ط 4، 1994م.

7) مصطفى، شاكر. *التاريخ العربي والمؤرخون*. دار العلم للملايين، بيروت ،ط1، 1990م، ج3.

8) عاشور، سعيد عبد الفتاح. عبد الحميد، سعد زغلول. العبادي، أحمد مختار. *دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية*. منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1986م.

9) عز الدين، محمد. *ابن حجر العسقلاني مؤرخاً*. عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م.

10) علي، محمد كمال الدين. *أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة* . الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1993م.

11) قاسم، قاسم عبده. *بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك* . المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م، ص 291 . 292.

12) الخطيب، مصطفى عبد الكريم. *معجم المصطلحات والألقاب التاريخية* . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1996م.

ثالثاً: المراجع المترجمة

1) روزنثال، فرانز. *علم التأريخ عند المسلمين* . تر صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1983م.